سوف أتناول عبر حلقات مختصرة حركة كولن وموقف الغرب منها، ولكني أشير في البداية إلى أن الحديث عن كولن لا يعني تغليب طرف على طرف في المنافسة السياسية التي تجري في تركيا اليوم، وسوف أذكر في الختام الفرق الجوهري بين كولن وأردوغان. ومن الله أرجو العون والسداد.

(١)

ولد محمد فتح الله كولن Fethullah Gulen، عام ١٩٤١م، بأرضروم، شرق تركيا، وتأثر كثيراً برسائل النور لسعيد النورسي، واشتغل بالوعظ والمحاضرات الدينية، والتأليف، وهو رجل مؤثر حاضر الدمعة، ويتابع كولن شيخه النورسي في التحذير من السياسة، بل إنه يرى أن تسييس الإسلام خيانة كبرى لروح الإسلام! ويرى كولن أن تطبيق الشريعة مسألة شخصية، والجحاب بالنسبة للمرأة عادة لا أكثر! وعام ١٩٩٩م وسافر كولن إلى أمريكا، واستقر بها، حيث يعيش هناك حياة بسيطة بين مريديه، إذ لم يتزوج، متابعاً في ذلك أيضاً شيخه سعيد النورسي، والذي عزف عن الزواج ومات أعزبا!

وأما حركة كولن Gulen Movement فهي حركة فكرية بدأها كولن منذ عام ١٩٩٠م، ويُطلق عليها في تركيا "حركة خدمة" (HizmetMovement). وهي تقوم على أساسٍ من "المرونة" والتفاهم بين الأديان والأفكار، وتستقي منهجها من مؤلفات كولن والنورسي.

أخذت هذه الحركة بعداً كبيراً بعد لقاء كولن ببابا الفاتيكان عام ١٩٩٨م، وقد لقيت هذه الحركة قبولاً رسمياً في تركيا وخارج تركيا، فأثنى عليها وعلى صاحبها زعماء وقادة العلمانية التركية؛ كالرؤساء: "سليمان ديميريل" و"طورغوت أوزال" و"بلند أجاويد" ورؤساء الوزراء؛ ك"يلدريم آق بولوط" و"مسعود يلماز"، وكذلك ممثل الفاتيكان في تركيا "جورج موروفيج" وبطريرك الروم في تركيا "بارثولوميوس".

ولأجل هذا القبول العلماني أصبحت حركة كولن اليوم عبارة عن "إمبراطورية" من المدارس والمؤسسات الإعلامية والثقافية والتجارية والمالية، منها أكثر من ١٥٠٠ مؤسسة تعليمية بمختلف مراحل التعليم، إضافة إلى ١٥ جامعة، وذلك في أكثر من ١٤٠ دولة حول العالم، منها أمريكا، وأبرز سمة لهذه المؤسسات التعليمية أنها تتفق مع المناهج العلمانية التركية، ولا تطبق أي برامج أو مناهج دينية (أي أنها ليست مدارس دينية كما يظن البعض).

ولهذا الواقع الفكري والعملي لفتح الله كولن وحركته لا يمكن القول بأن العلمانيين هم من أخرج كولن من تركيا، بل هو اختار العيش في أمريكا، ليدير من هناك حركة فكرية "مؤسسة"، نالت رضا العلمانيين في تركيا والغرب، الأمر الذي جعلها بهذه الضخامة والتمدد والقوة المالية والإعلامية، دونما أية عوائق أو تضييق.

(٢)الموقف الأمريكي من فتح الله كولن

قسمت مؤسسة راند في تقريرها "إسلام حضاري ديمقراطي" المجتمع المسلم إلى أربع فئات: المتشددون، والتقليديون، والمجددون، والعلمانيون، وأوصت بأن المجددين هم من يجب على أمريكا أن تدعمهم للوصول إلى إسلام معتدل مساير للحضارة الغربية، وضربت عدة أمثلة لأولئك المجددين، وكان من أبرزهم فتح الله كولن، حيث قالت عنه:« يقدم فتح الله كولن صيغة لتحديث الإسلام شديدة التأثر بالصوفية، ويركز على التنوع والتسامح واللاعنف». وفي تقريرها الآخر"بناء شبكات مسلمة معتدلة" والذي جعلت فيه الصوفية أحد الحلفاء المرتقبين لأمريكا، ضربت مؤسسة راند مثلاً لذلك الشريك الصوفي المرتقب بفتح الله كولن، إذ قالت عنه: «ويشجع القائد الديني التركي (فتح الله كولن) الإسلام الصوفي الحديث المعتدل، حيث إنه يعارض تنفيذ الدولة للقانون الإسلامي مشيراً إلى أن معظم اللوائح الإسلامية تتعلق بالحياة الخاصة للأفراد، ويهتم القليل منها بأمور الحكم، فالدولة كما يعتقد هو لا ينبغي أن تطبق أو تنفذ الشريعة الإسلامية؛ لأن الدين مسألة شخصية، فقوانين ومتطلبات عقيدةٍ بعينها لا ينبغي أن يتم فرضها على السكان ككل. كما وسع كولن من فكرته الخاصة والمتعلقة بمبدأ التسامح والحوار المتبادل مع كلٍ من المسيحين واليهود؛ حيث تقابل مرتين مع البطريرك بارثولوميوس، رئيس البطريركية المسيحية الأرثوذكسية اليونانية (EcumenicalPatriachate) باسطنبول، كما زار البابا في روما عام ١٩٩٨م وتلقى دعوة بزيارة الحاخام الإسرائيلي، حيث يؤكد كولن على تماشي مبادئ الدين الإسلامي مع مبادئ الديمقراطية كما يقبل الحجة القائلة بأن فكرة المذهب الجمهوري تتطابق بشكل كبير مع المفاهيم الإسلامية للشورى.. وقد كان كولن من المعارضين لأيٍ من الأنظمة الديكتاتورية المؤيدة لإخضاع الفرد وحقوقه إخضاعاً كاملاً لمصلحة الدولة، والتي ربما تفرض قيوداً على الأفكار، كما أنه كان شديد النقد لكلٍ من النظام الإيراني والنظام بالمملكة العربية السعودية، كما دأب على وجهة نظره الخاصة بأن الخبرة والتفسير التركي للإسلام يختلف عن البلدان

الأخرى خاصة البلاد العربية، كما كتب كولن عن "الإسلام الأنضاولي" والذي يرتكز فيه على مبادئ التسامح والبعد عن فرض قيود مشددة أو التعصب».

(٣)تتمة الموقف الأمريكي من فتح الله كولن

حاز فتح الله كولن وحركته على ثناء وإعجاب الكثير من السياسيين الأمريكيين، ومن ذلك على سبيل المثال ثناء "داليا مجاهد" مستشارة الرئيس "باراك أوباما" على حركة كولن، وكان ذلك في لقاء صحفي معها، والذي تمنت فيه أيضاً أن تستحيل حركة كولن إلى فكرة تحتضن كل مسلمي العالم. كما أثنى على فتح الله كولن وحركته الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون"، ووزيرا الخارجية السابقين "جيمس بيكر" و"مادلين أولبرايت"، والأمين العام السابق للأمم المتحدة "كوفي عنان"، وغيرهم من السياسيين الأمريكيين، والذين دعي أكثرهم لإلقاء محاضرات في معهد كولن Gulen Institute بولاية تكساس.

وقد احتل كولن المرتبة الأولى في قائمة أهم مائة عالم، وذلك في استطلاع أجرته مجلتا "فورين بوليسي" الأمريكية و"بروسبيكت" البريطانية عام٢٠٠٨م، وأنشأت عدة جامعات في أمريكا، وإندونيسيا، واستراليا، كراسٍ ومراكز علمية متخصصة باسم كولن، وعقدت مؤتمرات وندوات دولية عديدة في جامعات عالمية لدراسة أطروحات ونظريات كولن الدعوية والفلسفية والتربوية.

(٤)أصداء حركة كولن في العالم الإسلامي

لم يكن العالم الإسلامي بمعزل عن كل هذا الحراك وهذا الرضا والقبول (الغربي) لحركة كولن، فقد حظيت الحركة مؤخراً بترويج كبير لها في العالم الإسلامي، وبخاصة عن طريق المؤتمرات العديدة، ومن تلك المؤتمرات على سبيل المثال:

١- المؤتمر الدولي الذي عُقد في مقر جامعة الدول العربية بالقاهرة في الفترة من ١٩ إلى ٢٠٠٩/١٠/٢١م وذلك تحت عنوان "مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي: خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية"، ثم نُشرت وقائع ذلك المؤتمر في كتاب يحمل ذات العنوان، ويقع في أكثر من ٥٠٠ صفحة.

٢- مؤتمر "رؤى معاصرة للإصلاح الإسلامي ودورها في تعزيز السلام العالمي: تجربةفتح الله كولن التركية أنموذجاً"، والذي عُقد في العاصمة الأردنية عمان، في ٢٠١٠/١/١٦م، وقامت بتنظيمه "مجلة حراء" التابعة لحركة كولن، بالتعاون مع المنتدى العالمي للوسطية.

٣- مؤتمر "تجربة الإصلاح في تركيا: حركة فتح الله كولن نموذجاً"، والذي عُقد بجامعة الإسكندرية في ٢٠١٢/١/٣م، وقامت بتنظيمه الجمعية المصرية التركية للصداقة والثقافة، واللجنة الثقافية بكلية الطب بجامعة الإسكندرية.

وحظيت أيضاً تلك الحركة بثناء العديد من المشايخ وطلبة العلم، والذين -للأسف- حال انبهارهم بقوة الحركة وسعة تمددها دون النظر في مضامينها العقدية، وحالها مع العلمانية، وكان من آخر ما اطلعت عليه مقال للدكتور الشريف حاتم العوني في جريدة المدينة (رجب ١٤٣٥) أثنى فيه على حركة كولن، ووصفها بالدعوة الإصلاحية، ولم يُغفل أيضاً في ذات المقال لمز السلفية! والله المستعان.

اللهم اهدنا واهد بنا يا حي يا قيوم،،